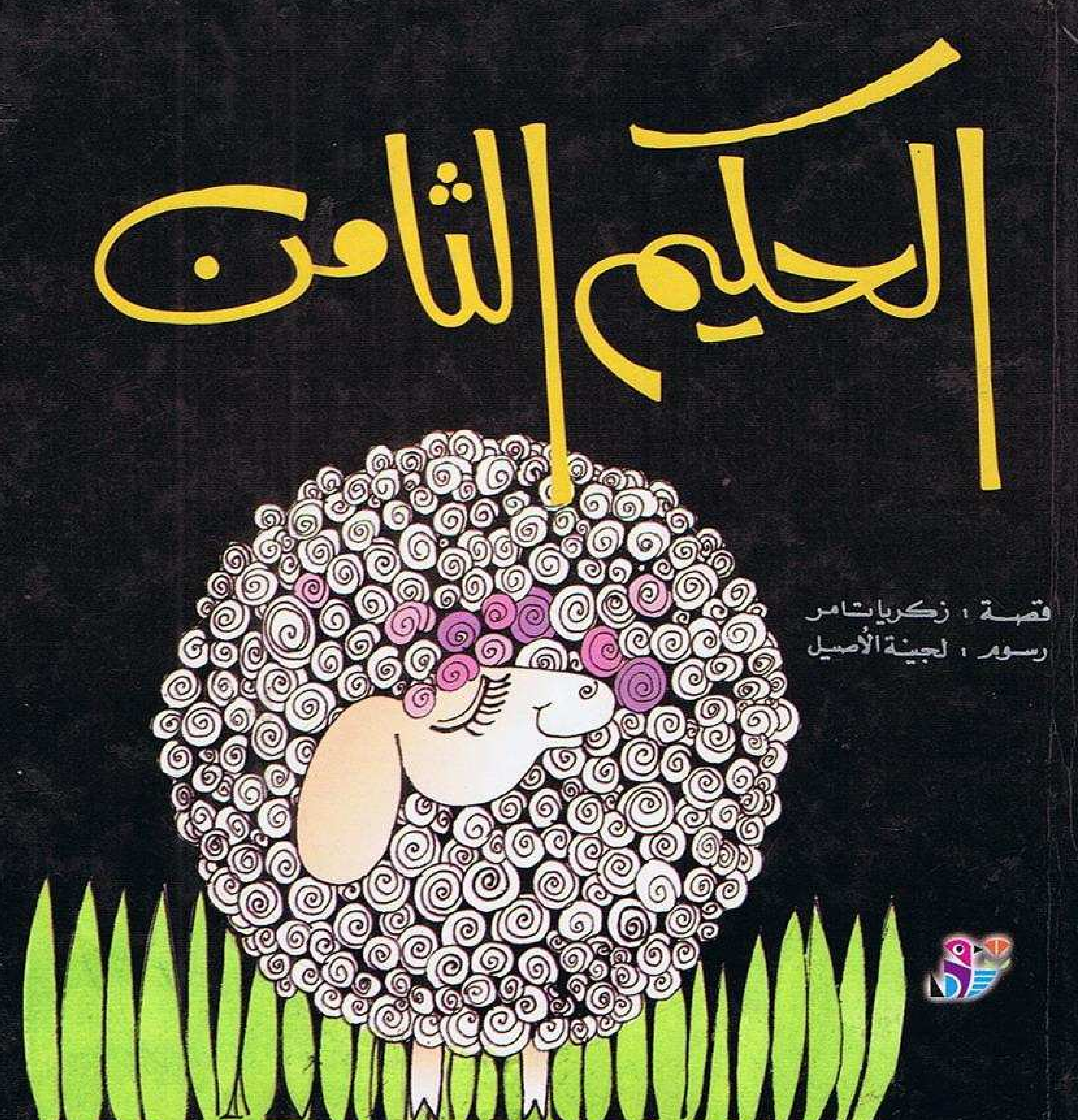
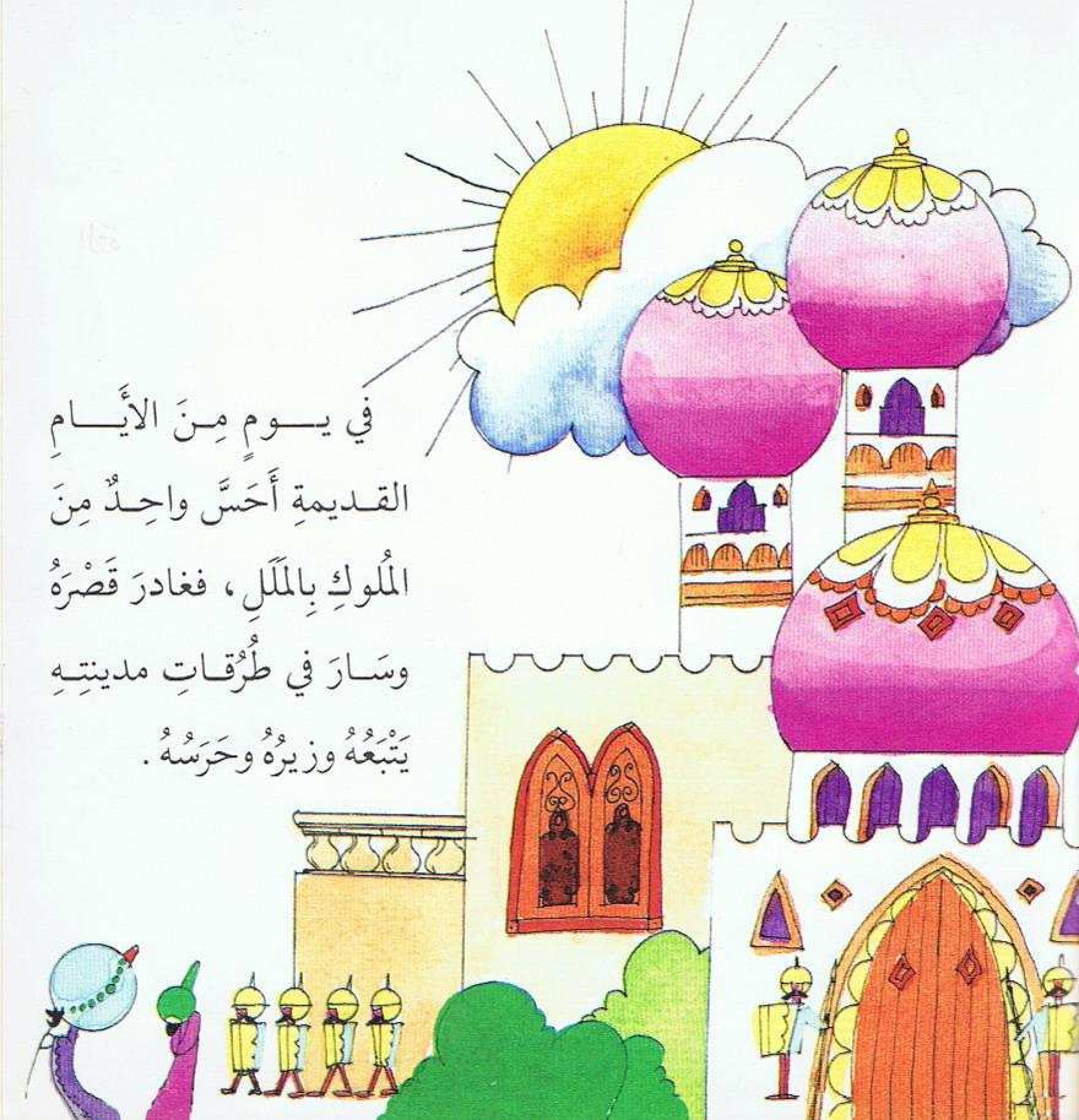

الحكيم الثامن
قصة : زكريا تامر
رسوم : لجينة الأصيل



فِي يـومٍ مِنَ الأَيَّامِ القديمةِ أَحَسَّ واحِدٌ مِنَ المُلوكِ بِالمَلَلِ، فغادرَ قَصْرَهُ وسَارَ في طُرُقاتِ مدينتِهِ يَتْبَعُهُ وزيرُهُ وحَرَسُهُ.

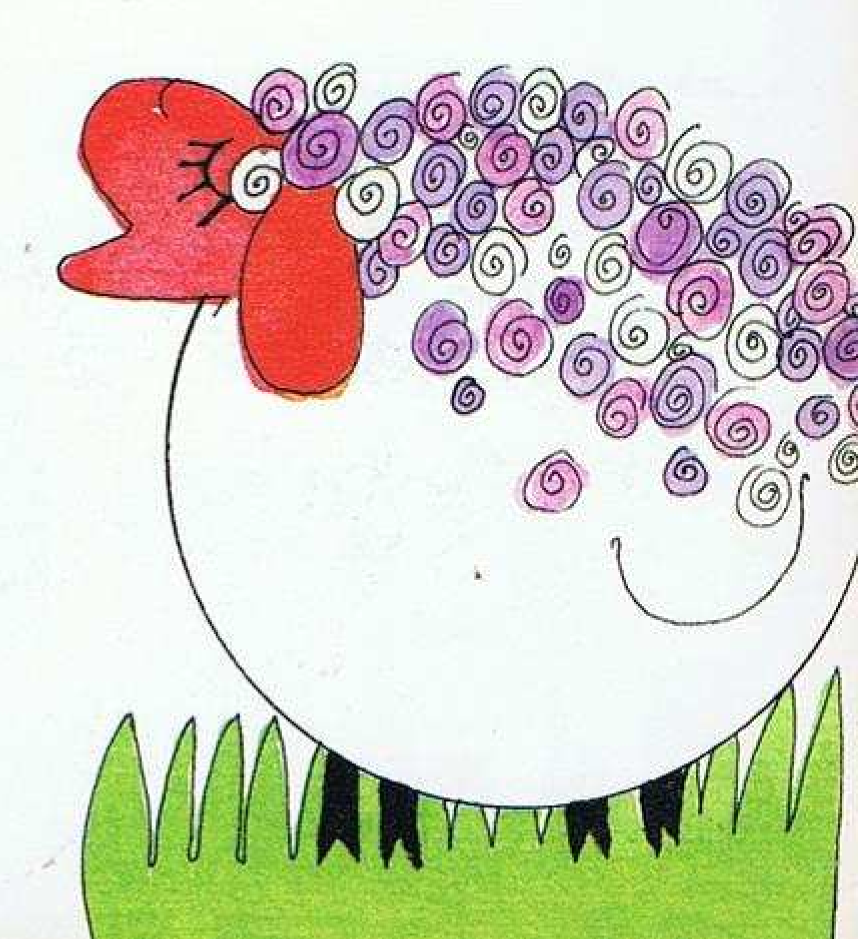
فجأةً، اعْتَرَضَ طَريقَ الملكِ خروفٌ وَدِيعُ العَيْنَيْنِ، أَبيضُ اللَّوْنِ،

وصاح: «ماع . . ماع».

إِلْتَفتَ الملكُ إلى وزيرِهِ، وقالَ لهُ: «أَنْبِئْني ماذا يقولُ الخروفُ؟».

إضطربَ الوزيرُ وقالَ بصوت مُرْتجفٍ: «أنا أسفٌ يا مَوْلاي لأَنِّي لا أعرفُ لغةَ الخِرافِ».

قطَّبَ الملكُ جَبينَهُ، وأمرَ بإِحْضارِ حُكماءِ مملَكَتِهِ، وكانوا سَبْعَةً.



جاءَ الحكماءُ السَّبْعـةُ بسرعةٍ ، ومثلُـوا بينَ يدَيّ الملكِ بِـرؤوسٍ محنيَّةٍ احتراماً ، فطلبَ منهُمْ أن يُنْبِئُوهُ بما يقـولُ الخروفُ الـذي كان لا يـزالُ يصيحُ : «ماع . . ماع» .

قالَ الحكيمُ الأولُ : «إنّهُ يقولُ إنَّ الفرحَ أَقْوى منَ الحزْنِ» .

قالَ الحكيمُ الثاني : «الخروفُ يَنْصَحُ الناسَ بِقولِ الصِّدْقِ دائِماً» .

قالَ الحكيمُ الثالثُ : «إنّهُ يقـولُ إنَّ الكلامَ الجميلَ لا يُنْسَى أبداً إذا رافقَهُ فِعْلٌ حَسَنٌ» .



قال الحكيمُ الرابعُ بصوتٍ مرتفع: «أنا يا مولايَ وحْدي الذي يُتْقِنُ لغةَ الخروفِ. وهذا الخروفُ يقولُ كُنْ يـا إنسانُ كالشمسِ التي تُعطي نورَهَا، ولا تُطالِبْ بِثَمنٍ».

قـال الحكيمُ الخامسُ بلهْجَـةٍ وَقُورٍ: «الخروفُ يقـولُ إنَّ النـارَ التي تُضيءُ وتدفِئُ قادرةٌ في الوقتِ نفسِهِ على أن تحرقَ».

قال الحكيمُ السـادسُ بثقةٍ: «رفاقي الأعزّاءُ المبجَّلـونَ لم يَنْجَحُوا في فهمِ مـا يقـولُـهُ الخروفُ. الخروفُ يقـول: الغيمـةُ في الشتـاءِ أكبر من الصخْرةِ، ولكـنَّ الغيمةَ تتلاشَـى. أمّا الصخرةُ فتبقـى لأنَّها مُلْتصقةٌ بالأرض».

وقالَ الحكيمُ السـابعُ وهو ينظرُ إلى رفـاقِهِ ساخـراً: «الخروفُ يُنادي ولدَهُ الصغيرَ الضائِعَ، واسْمه ماع».

أُعْجِبَ الملكُ بما سمِعَهُ، ولكنَّهُ
تنبَّهَ لِولدٍ صغيرٍ، كان يقِفُ قريباً
منه، ويضحكُ كَمَنْ يهْزأُ بأقوالِ
الحكماءِ السبْعةِ.



إغْتــاظَ الملك، وقالَ للـولدِ بصـوتٍ حـانِقٍ صارمٍ: «لماذا تضْحكُ يـا ولَدُ؟! أَتَضْحَكُ لأنَّكَ لمْ تُعْجَبْ بِما قَالَهُ حُكمائي؟!».

قال الولد: «ما قالهُ حكماؤُكَ كلامٌ جميلٌ، ولكنَّهُ مخطىء».

قال الملك، وقد ازْدادَ غيْظُهُ: «وهلْ تستطيعُ، أنت الصغيرُ، أن تنبِئَني بالحقيقةِ التي تزْعَمُ أنَّ حُكمائي السبعةَ عجزوا عن الوصولِ إليها؟!».

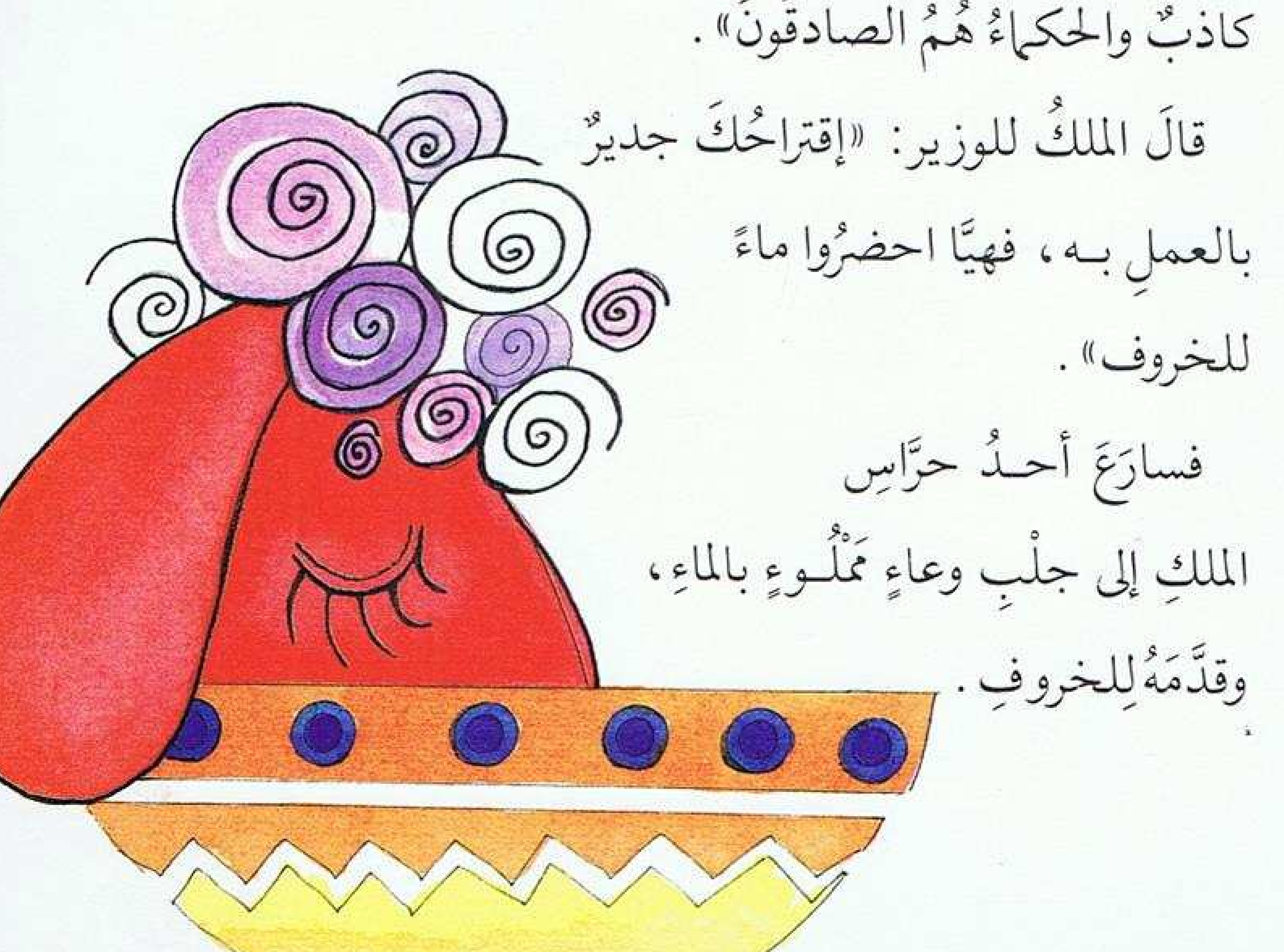
قالَ الولـدُ: «الحقيقةُ يا مولايَ هي أنَّ الخروفَ لا يقولُ: مـاع ماع. إنه يقول: ماء ماء».

قالَ الملكُ: «ماذا أسمعُ؟! أتُحاولُ إقْنـاعي أنَّ الخروف عطشانُ فَقَطْ، و يطلبُ الماءَ؟!».

هَمَّ الـولدُ أن يُجاوب غيْرَ أنَّ الـوزيرَ قاطعَـهُ مُخَاطِباً الملـك: «إنِّي يا مولايَ أقترحُ أن نُحضرَ ماءً ونجْعَلَ الخروفَ يشربُ منْهُ حتى الارْتِواءِ، وعندئذٍ تتّضحُ الحقيقـةُ، فإذا ظَلَّ الخروفُ يقول ماع ماع، فإن الـولدَ كاذبٌ والحكماءُ هُمُ الصادقُونَ».

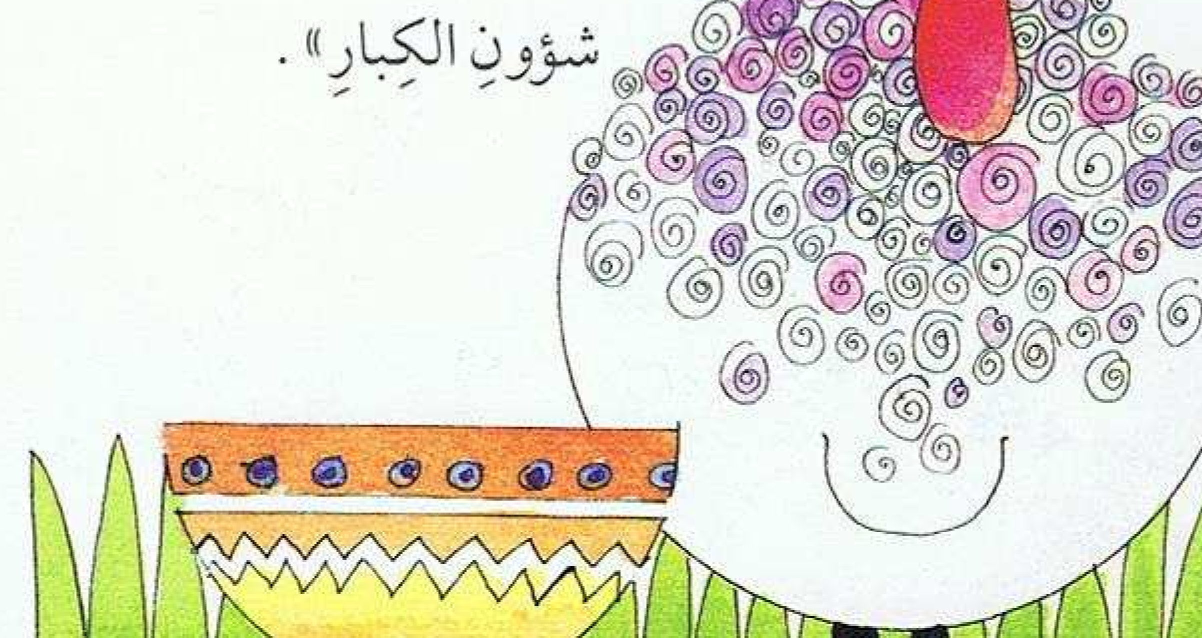
قالَ الملكُ للوزير: «إقتراحُكَ جديرٌ بالعملِ بـه، فهيَّا احضرُوا ماءً للخروف».

فسارَعَ أحـدُ حرّاسِ الملكِ إلى جلْبِ وعاءٍ مَمْلُـوءٍ بالماءِ، وقدَّمَهُ لِلخروفِ.



شرِبَ الخروفُ من الماءِ بِنَهَمٍ، ولما ارْتَوى ابْتَعَدَ عنْ وعاءِ الماءِ، وهو يقولُ: «ماع ماع».

تَصايَحَ الحكماءُ السبعةُ فرحينَ مزْهوِّينَ بانْتصارهم، بينما ظلَّ الولدُ هادئاً ساكتاً. قال الملكُ للولد: «أرأَيْتَ كيفَ أنَّ كلامكَ هو المُخطىء؟ فهيَّا ابْتعدْ بِسرعةٍ والعبْ في مكانٍ آخر، ولو لمْ أكنْ بحاجةٍ إلى تسْليةٍ لعَاقَبْتُكَ أَقْسَى عقابٍ يُعلِّمُكَ ألاَّ تتدخَّلَ في شؤونِ الكِبارِ».

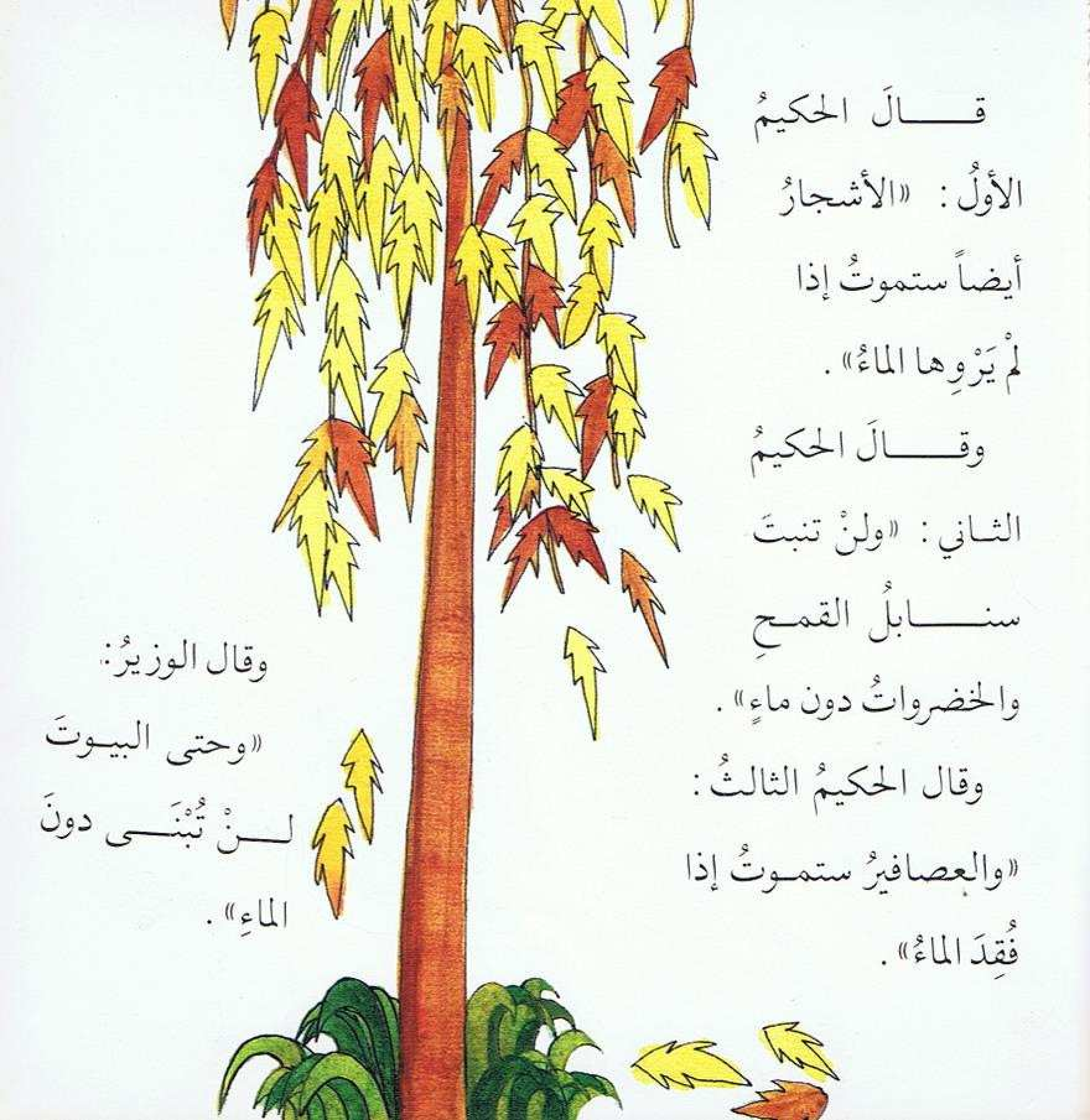


قالَ الولدُ: «ما زِلْتُ مُصرّاً على أنَّ ما قلْتُهُ أنا هو الصدْقُ وهو الحقيقةُ، فالخروفُ لا يقولُ: ماء ماء لأنَّهُ عطشانُ بل لِيُنبِّهَ الناسَ إلى أنَّ الماءَ هو أعظمُ ما في الحياةِ، وإذا فُقِدَ هلَكَ كُلُّ ما على سطحِ الأرضِ، والخروفُ يقول: ماء ماء، لِيخرِّضَ أيضاً الناسَ على أن يَسْتَخدِمُوا الماءَ دائماً الاسْتخدامَ النافِعَ، فلا يُبدِّدُوهُ، لأنَّ الماءَ هو الحياةُ».



ساد الصَّمْتُ، وفكَّرَ الملكُ هُنَيْهاتٍ في ما سمِعَهُ، ثم تكلَّمَ، فقال للولدِ برصانَةٍ: «ما قلتَهُ هـو الصدْقُ حقاً، فأنا ملك، وخزائني ملآنةٌ بالذهبِ، ولكنّي سأموت إذا لمْ أجد ماءً أشربُهُ».





قــالَ الحكيمُ
الأوَلُ: «الأشجارُ
أيضاً ستموتُ إذا
لَمْ يَرْوِها الماءُ».

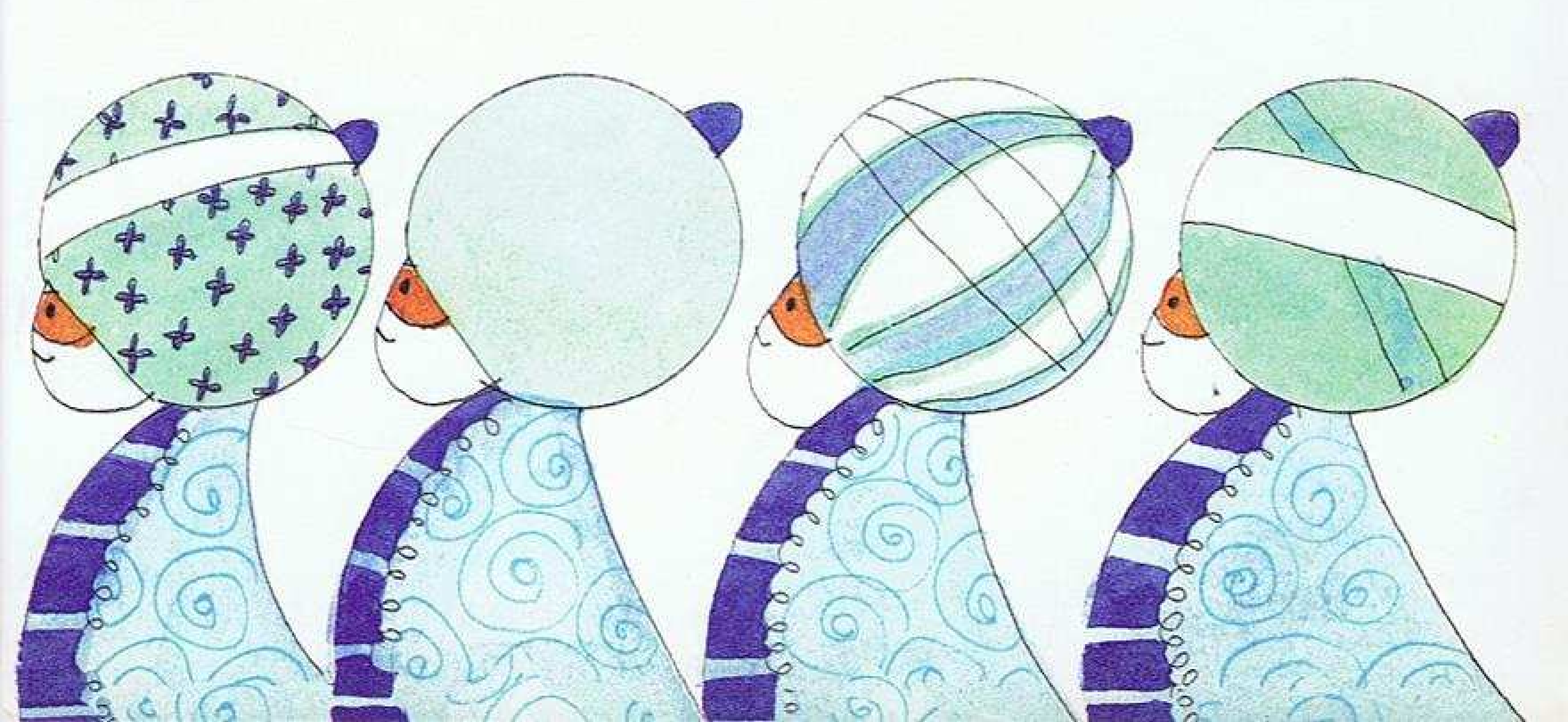
وقــالَ الحكيمُ
الثاني: «ولنْ تنبتَ
سنــابلُ القمحِ
والخضرواتُ دون ماءٍ».

وقال الحكيمُ الثالثُ:
«والعصافيرُ ستموتُ إذا
فُقِدَ الماءُ».

وقال الوزيرُ:
«وحتى البيوتَ
لــنْ تُبْنَــى دونَ
الماءِ».

وأرادَ الحكيمُ الرابعُ أنْ يتكَلَّمَ ، ولكنَّ الملكَ أشارَ بيدِهِ آمراً الجميعَ بالسّكوتِ ، ثم قالَ للولدِ وهو يربّتُ على كتفِهِ بيدٍ حانيةٍ : «كانَ لديَّ سبعَةُ حكماءَ ، والآنَ ازْدادَ عددُهُمْ ، وأضحَوْا ثمانيةَ حكماءَ » .

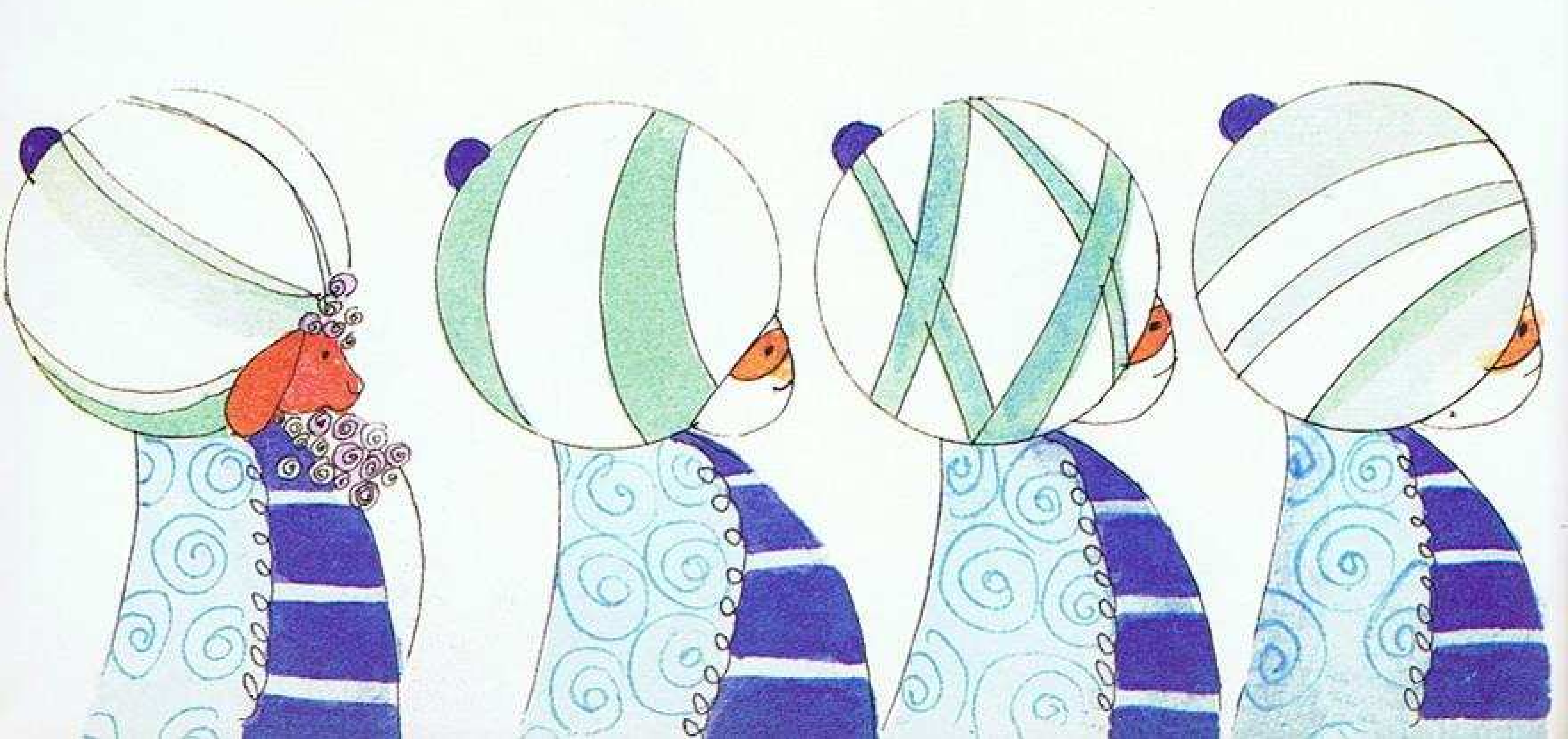
قالَ الولدُ وهو يُشيرُ بسبَّابَتِهِ إلى الخروفِ : «وهذا الخروفُ هو بالتأكيدِ الحكيمُ الثامنُ » .



تجهَّمَتْ وجوهُ الحكماءِ السبعةِ بينما ضحِكَ الملكُ بمـرحٍ وهو يشعرُ أن مللهُ قد زال .

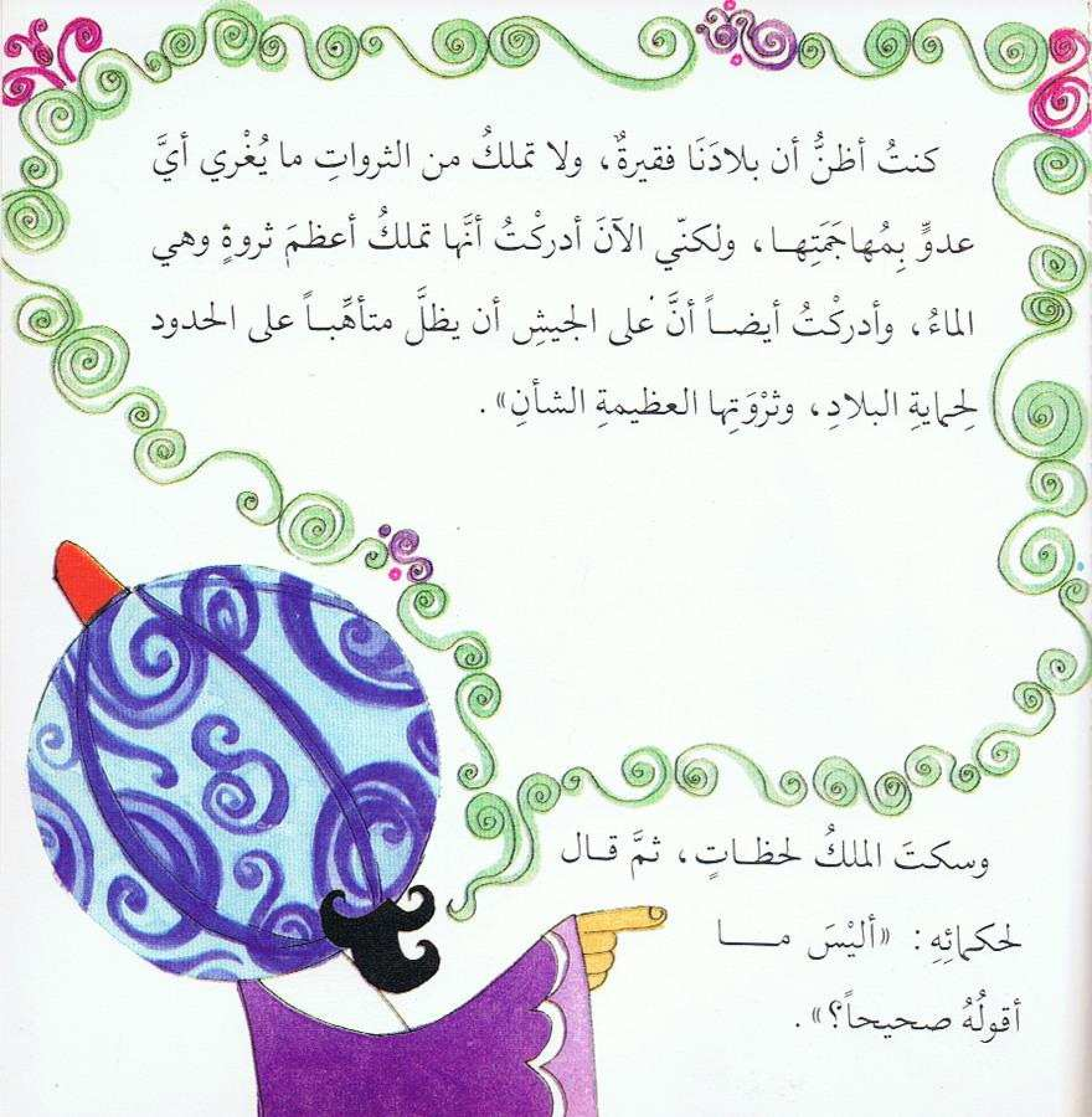
قالَ الملكُ : «فليكنِ الخروفُ حكيميَ الثامنَ» .

وتطلَّعَ إلى الحكماءِ السبعةِ العـابسي الوجـوهِ ، وقالَ لهُمْ : «لا داعِيَ إلى الاسْتِياءِ . . أَيْنَ حِكْمَتُكُمْ ؟! أَلَيْسَ الحكيمُ هـو الذي يقولُ كـلاماً بعيداً عن الخطأ ، وينفعُ الناسَ ؟» .



وأشـار الملكُ بِسبَّابتِـهِ إلى الخروفِ ، وقال : «وهـذا الخروفُ يستحقُّ بجدارةٍ أن يكونَ حكيميَ الثامنَ ، لأنّـهُ نبَّهَني على حقيقةٍ مهمّةٍ كنتُ في السابقِ لا أكترِثُ لها .





كنتُ أظنُّ أن بلادَنَا فقيرةٌ، ولا تملكُ من الثرواتِ ما يُغْري أيَّ عدوٍّ بِمُهاجَمَتِها، ولكنّي الآنَ أدركْتُ أنَّها تملكُ أعظمَ ثروةٍ وهي الماءُ، وأدركْتُ أيضاً أنَّ على الجيشِ أن يظلَّ متأهِّباً على الحدود لِحمايةِ البلادِ، وثروَتِها العظيمةِ الشأنِ».

وسكتَ الملكُ لحظاتٍ، ثمَّ قال لحكمائِهِ: «أليْسَ ما أقولُهُ صحيحاً؟».

هزَّ الحكماءُ السبعةُ رؤوسَهُمْ مُوافِقِينَ .

ولما عادَ الملكُ إلى قصْرِهِ ، أمرَ بكتابَةِ ما جرَى ، وتَعْميمِهِ على الناسِ كي لا يَنْسَوْا يوماً أهميّةَ الماءِ .

وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ
كُلَّ شَيْءٍ
حَيٍّ



للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى١٩٩٩
بيروت ـ لبنان ـ ص.ب ٢١٦/٢٥
هاتف ٨٢١٦٧٩ / ٨٤٠٢٨٩
فاكس ٨٤٠٢٩٠